وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن الكريم في تكوين شخصية المسلم

(سورة الفاتحة أنموذجًا)

اسم الباحث/ـة

د/عبد الرحمن الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

سورة الفاتحة، التي نزلت في مكة المكرمة تتألف من سبع آيات، وهي تلعب دورًا بالغ الأهمية في تكوين شخصية المسلم. ولا شك أن التكوين الصحيح للفرد المسلم يعتبر أول خطوة إلى تكوين مجتمع مسلم يتنور بمعرفة الله الذي لا اله غيره ولا رب للعالمين سواه، يرحم في الدنيا البشرية جميعاً الصالحين منهم والطالحين اختبارًا منه، ولكنه يعاقب الظالمين في يوم ينادَى فيه لمن الملك اليوم حيث لا مجيب إلا هو.

وأفراد هذا المجتمع بهذه المعرفة لا يعبدون إلا الله ولا يعتمدون في الاستعانة إلا على الله، الاستعانة في كل صغيرة وكبيرة، حتى في الثبات على الصراط المستقيم والابتعاد عن صراط المغضوب عليهم والضالين.

ولتركيز هذه السورة على المعاني العميقة، ولضرورة معرفة كل مسلم هذه السورة؛ لأن الشارع جعل تعلمها وقراءتها فرض عين على كل مسلم ومسلمة باعتبارها جزءًا من الصلاة المفروضة عليه، ولإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن فضلها العظيم بقوله "مَا أُنْزِلَتْ فِي التوْراة وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثلها".[1] أردنا أن نركز على هداياته في تكوين شخصية المسلم قدر استطاعتنا.

ولا شك أن كتب التفسير مليئة ببيان دقائق هذه السورة الكريمة التي لا تنتهي نفائسها ولكن هذا ليس مانعا من التركيز على بعض هداياته.

سيبدأ البحث بتقديم معلومات عامة عن السورة، مثل سبب نزولها، وترتيبها، وعدد آياتها، وأسمائها، ثم يكون التركيز على الهدايات التي تقدمها السورة لتكوين شخصية المسلم كلبنة صالحة في تكوين مجتمع مسلم.

نأمل أن يُسهم هذا البحث في فهم إرشادات وهدايات سورة الفاتحة

في بناء الفرد المسلم، وبالتالي يُسهم في بناء مجتمع مسلم تسوده القيم الربانية.

---

[1] سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، أبواب فضائل القرآن، ٢٨٧٥.

١. معلومات عامة حول سورة الفاتحة اسماؤها، نزولها، ترتيبها، عدد آياتها، فضلها، وما اشتملت عليه

١. ١. أسماؤها:

ذكر الإمام القرطبي للفاتحة اثني عشر اسمًا[١]:

١. الفاتحة: لا خلاف بين العلماء في هذه التسمية، سميت بهذا الاسم لبدء تلاوة القرآن وكتابة المصحف والقراءة في الصلاة بها.[٢]

٢. أم القرآن، أم الكتاب، السبع المثاني، القرآن العظيم: تأتي هذه الأسماء فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم).[٣]

٣. الحمد: سميت بهذا الاسم لاحتوائها الحمد[٤].

٤. الصلاة: سميت بهذا الاسم للحديث القدسي: "قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ"[٥]؛ لأن الشيء الذي ذُكر في الحديث تقسيمه إلى نصفين هو سورة الفاتحة.

٥. ومن أسمائها أيضًا: الشفاء، والرقية، وأساس القرآن، والوافية، والكافية[٦].

١. ٢. نزولها، ترتيبها، عدد آياتها:

رغم وجود آراء مختلفة حول مكان نزولها، ولكن الراجح أنها نزلت في بداية الفترة المكية كاملة في مرة واحدة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ١/١٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١/١٧٢؛ تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ١/١٥١.

(٣) حيث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ القُرْآنِ وَأُمُّ الكِتَابِ وَالسَّبْعُ المَثَانِي" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. الترمذي، أَبوَابُ تفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ٣١٢٤؛ وقَالَ: "وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. الترمذي، أَبوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، ٢٨٧٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١/١٧٣.

(٥) المسند الصحيح المختصر لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، الصلاة، ٣٩٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١/١٧٤-١٧٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/١٥٢؛ الدر المنثور، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ،١/١٦.

حسب ما ذكره حبنكة، ودروزة أن هذه السورة تأتي في المرتبة الخامسة من حيث ترتيب النزول. الآيات الأولى التي نزلت هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق.[١]

حبنكة: يذكر ترتيب السورة بعد سورة العلق بسورة المزمل، والمدثر، والقلم،[٢] بينما يذكر دروزة: ترتيبها بعد سورة العلق بسورة القلم، والمزمل، والمدثر.[٣]

يتفق الجميع على أن هذه السورة تتألف من سبع آيات.[٤]

١ . ٣. فضلها وما اشتملت عليه:

ورد في فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة. ومنها ما يلي:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...وقَالَ لِي: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المسْجِدِ". ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قلْتُ لَهُ: "الم تقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ"، قَالَ: "﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ، هِيَ السَّبْعُ المثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ"[٥]

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَالَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ فِي التوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثلَهَا؛ إِنها مِنَ السَّبْعِ المثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُعْطِيتُهُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.[٦]

---

[١] الجامع المسند الصحيح المختصر صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، التفسير، ٤٩٥٣.

[٢] معارج التفكر لعبدالرحمن حسن حبنكة ، ٣١/١، ٧٧، ١٥١، ١٩٥.

[٣] التفسير الحديث لدروزة ، ١٥/١، ٣١٥، ٣٥٣، ٤٠٥، ٤٤٠.

[٤] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،١٧٦/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٥٣/١

[٥] صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، التفسير ، ٤٤٧٤؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٥٢/١؛ الدر المنثور للسيوطي ، ١٢/١-١٣.

[٦] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٥٧/١-١٥٨؛ الدر المنثور للسيوطي ، ١٦/١.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فنزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نفَرَنَا غَيْبٌ، فهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقيَةٍ، فرَقَاهُ فبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبنًا، فلَمَّا رَجَعَ قلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقيَةً – أَوْ كُنْتَ ترْقِي؟ – قَالَ: لاَ، مَا رَقيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيئًا حَتَّى نَأْتِيَ – أَوْ نَسْأَلَ – النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلَمَّا قَدِمْنَا المدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنها رُقيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»(١)

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج – ثلاثًا– غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام؟ فقال: «اقرأ بها في نفسك»؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: قَالَ تَعَالَى:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، قال: مجدني عبدي – وقال مرة فوض إلي عبدي – فإذا قال:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"(٢)

إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها. قد

(١) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، فضائل القرآن، ٥٠٠٧؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٦١/١؛ الدر المنثور للسيوطي ، ١٥/١-١٦.

(٢) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النسابوري ، الصلاة، ١١/ ٣٩٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٦٢/١؛ الدر المنثور للسيوطي، ٢٥/١-٢٦.

حوت السورة معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تتناول أصول الدين وفروعه، تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء، والتوجه إليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، والتضرع إليه بالتثبيت على الإيمان ونهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور ولهذا تسمّى "أم الكتاب" لأنها جمعت مقاصده الأساسية.(١)

٢. بعض المصطلحات التي تحتوي عليها السورة:

٢. ١. الرب، الرحمن، الرحيم، مالك:

–الرب: فإن الرّب في كلام العرب منصرفٌ على معان: فالسيد المطاع فيهم يُدعَى ربًّا، والرجل المصلح للشيء يُدعى ربًّا، والمالك للشيء يدعى رَبَّه. وقد يتصرف أيضًا معنى "الربّ" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة. فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْهَ لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه،
والمالك الذي له الخلق والأمر. (٢)

ولا يستعمل الرب لغير الله إلا بالإضافة تقول: رب الدار رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل.(٣)

–الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: الرَّحْمَن والرَّحِيم: اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ المبَالِغَةِ، وَرَحْمَنُ أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ رَحِيمٍ، وَفِي كَلَامِ ابْنِ جَرِيرٍ مَا يفْهِم حِكَايَةَ الِاتِّفَاقِ عَلَى هَذَا، وَفِي تفْسِيرِ بعْضِ السَّلَفِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالدَّلِيلُ عَلَى

(١) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ١/١٨.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، ١/١٤٢-١٤٣.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/٢٠٧.

أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ". قَالَ: وَهَذَا نَصٌّ فِي الِاشْتِقَاقِ فَلَا مَعْنَى لِلْمُخَالَفَةِ وَالشِّقَاقِ.(١)

وقال ابْنُ جَرِيرٍ الرحمن لجميع الْخَلْقِ، الرَّحِيمُ بِالمؤْمِنِينَ: وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾(٢) فَذَكَرَ الِاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنِ لِيعُمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ وَقَالَ:﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾(٣) فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ. قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الرَّحْمَةِ لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَالرَّحِيمُ خَاصَّةٌ بِالمؤْمِنِينَ، وَاسْمُهُ تعَالَى الرَّحْمَنُ خَاصٌّ بِهِ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾(٤).

–مالِك: مالِك : قرَأَ بعْضُ الْقُرَّاءِ (مَلِك يوْمِ الدِّينِ) وَقرَأَ آخَرُونَ ﴿ مَٰلِكِ ﴾ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ متواتر.وَمَالِكُ مَأْخُوذٌ مِنَ الملك كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٥) وَقَالَ: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾(٦)

وَمَلِكٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الملْكِ كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾(٧)، وقال: ﴿ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ ﴾(٨) وَقَالَ: ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾(٩)

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/١٩٦.
(٢) طه: ٥.
(٣) الأحزاب: ٤٣.
(٤) الإسراء: ١١٠.
(٥) مَرْيَمَ: ٤٠.
(٦) النَّاسِ: ١-٢.
(٧) غَافِرٍ: ١٦
(٨) الأنعام: ٧٣.
(٩) الْفُرْقَانِ: ٢٦.

وَتَخْصِيصُ الْمُلْكِ بِيوْمِ الدِّينِ لَا ينْفِيهِ عَمَّا عَدَاهُ لِأَنَّهُ قَدْ تقَدَّمَ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالمِينَ وَذَلِكَ عَامٌّ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى يوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَدٌ هُنَالِكَ شَيئًا وَلَا يتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

وَالمِلِكُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾[1] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا «أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ وَفِيهِمَا عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يقُولُ أَنَا المِلِكُ أَيْنَ ملوك الْأَرْضِ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟ وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[2] فَأَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ فِي الدُّنيَا بِمَلِكٍ فعَلَى سَبِيلِ المجَازِ كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾[3] ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾[4] ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾.[5]

٢. ٢. الحمد، العالمين، الدين، العبادة، الهداية:

-الْحَمْد: الْحَمْدَ: هُوَ الثناءُ بِالْقَوْلِ عَلَى المحْمُودِ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ وَالمتعَدِّيَةِ، وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى المتعَدِّيَةِ، وَيَكُونُ بِالْجَنَانِ وَاللِّسَانِ وَالْأَرْكَانِ وَلَكِنهُمُ اخْتلَفُوا: أَيهُمَا أَعَمُّ، الْحَمْدُ أَوِ الشُّكْرُ؟ عَلَى قوْلَيْنِ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ بينهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالمتعَدِّيَةِ، تقُولُ: حَمدته لِفُرُوسِيَّتِهِ وَحَمِدْتُهُ لِكَرَمِهِ. وَهُوَ أَخَصُّ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ. وَالشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يقَعَانِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) غَافِرٍ: ١٦

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) الكهف: ٧٩

(٥) المائدة: ٢٠؛ كل ما ذكرناه في بيان مصطلح "مالك" مأخوذ من تفسير ابن كثير، ١/٢١١-٢١٢.

بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ، وَهُوَ أَخَصُّ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الصِّفَاتِ المتعَدِّيَةِ، لَا يقَالُ: شَكَرْتُهُ لِفُرُوسِيَّتِهِ، وَتقُولُ: شَكَرْتُهُ عَلَى كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيّ. هَذَا حَاصِلُ مَا حَرَّرَهُ بعْضُ المتَأَخِّرِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(١)

وقال الماوردي: **الحمد**: فهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله، والشكرُ الثناء عليه بإنعامه، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليسَ كلُّ حمدٍ شكراً، ولذلك جاز أن يحمد الله تعالى على نفسه، ولم يجز أن يشكرها.(٢)

وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي الْحَمْدِ لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَمْدِ، وَصُنُوفِهِ لِلَّهِ تعَالَى كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ" الْحَدِيث .(٣)

فإن قال لنا قائل: وما معنى قوله "الحمد لله"؟ أحَمِد الله نفسه جلّ ثناؤه فأثنى عليها، ثم علَّمنَاه لنقول ذلك كما قال ووصَف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك، فما وجه قوله تعالى ذكره إذًا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهو عزّ ذكرُه معبودٌ لا عابدٌ؟ أم ذلك من قِيلِ جبريلَ أو محمدٍ رَسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقد بَطل أن يكون ذلك لله كلامًا.

قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه، ولكنه جلّ ذكره حَمِد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهلٌ، ثم علَّم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته، اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مما علمهم جلّ ذكره أن يقولوه ويَدينُوا له بمعناه،وذلك موصول بقوله:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وكأنه قال: قولوا هذا وهذا. فإن قال: وأين قوله: "قولوا"، فيكونَ تأويلُ ذلك ما ادَّعَيْتَ؟ قيل: قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٠٢/١.
(٢) تفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، ٥٣/١.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٠٧/١.

– إذا عرفتْ مكان الكلمة، ولم تَشكَّك أنّ سامعها يعرف بما أظهرت من منطقها ما حذفت – حذفَ ما كفى منه الظاهرُ من منطقها، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التي حُذفت، قولا أو تأويلَ قولٍ.(١)

–العالمين: العالمين: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل، والعالم جمع لا واحد له من لفظه.(٢) وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْعَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ أَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ الْعَالمينَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾(٣) وَالْعَالم مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَامَةِ (قلْتُ) : لِأَنَّهُ عَلَم دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ(٤)

–الدِّينُ :الدِّينُ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ كَمَا قَالَ تعَالَى: ﴿ أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾(٥) أَيْ مَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ، وَفِي الْحَدِيثِ "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بعْدَ الموْتِ"(٦) أَيْ حاسب نفسه .(٧)

–العبادة: العبادة: فِي اللُّغَةِ مِنَ الذِّلَّةِ يقَالُ طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ المحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ. وَقُدِّمَ المفْعُولُ وَكُرِّرَ وَهُوَ إِيَّاكَ فِي قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ أَيْ لَا نعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نتوَكَّلُ إِلَّا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إِلَى هَذَيْنِ المعْنيَيْنِ، ... فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنَ الحول وَالْقُوَّةِ وَالتفْوِيضِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.(٨)

---

(١) جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري ، ١/١٣٩-١٤٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٠٧.
(٣) الشعراء: ٢٣-٢٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١/٢١٤؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٢١٠.
(٥) الصافات: ٥٣.
(٦) سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي ، ٢٤٢٩.
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢١٣.
(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢١٣.

–الْهِدَايَةُ: يقول ابن كثير[١] : الْهِدَايَةُ هَاهُنَا الْإِرْشَادُ وَالتوْفِيقُ.

وَقَدْ تعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنفْسِهَا كَمَا ها هُنَا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فتَضَمَّنُ مَعْنَى أَلْهِمْنَا أَوْ وَفِّقْنَا أَوِ ارْزُقنَا أَو اعْطِنَا.وَقَدْ تعَدَّى بِإِلَى كَقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٢] ﴿ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[٣] وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ وَكَذَلِكَ قوْلُهُ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٤].

وَقَدْ تعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[٥] أَيْ: وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا[٦].

٢. ٣. المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالون:

ذكر هذه المصطلحات في قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

يقول ابن كثير: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مُفَسِّرٌ لِلصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ وَهُوَ بَدَلٌ مِنْهُ عِنْدَ النُّحَاةِ وَيَجُوزُ أَنْ يكون عطف بيان والله أعلم.[٧]

–المنعم عليهم: والمنعَم عليهم هُمُ المذْكُورُونَ في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾.[٨] وَالمعْنَى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَترْكِ نوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٢٢٢.
(٢) النَّحْلِ: ١٢١.
(٣) الصَّافَّاتِ: ٢٣.
(٤) الشُّورَى: ٥٢.
(٥) الْأَعْرَافِ: ٤٣.
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/٢١٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/٢٢٢-٢٢٣.
(٨) النِّسَاءِ: ٦٩-٧٠.

-المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالّونَ: عن عدي بن أبي حاتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى"[١] .. وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾[٢] وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٣] وَبِهَذَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ والآثار.[٤]

٣. من هدايات سورة الفاتحة في تكوين شخصية المسلم:

٣. ١. ابتداؤها بالبسملة والحمدلة:

القرآن الكريم هو آخر رسالة أرسلها الله تعالى إلى البشرية كافة. وهذه الرسالة توضح للناس المبادئ التي تضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة. ويبين القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.[٥] انزل الله هذا الكتاب ليكون منهج حياة كامل، ولتطبيق المبادئ التوجيهية الواردة فيه بشكل صحيح في حياة البشر، يلزم وجود شخصية مثالية تشرحها وتوضحها بتطبيقها على نفسها كقدوة ليري الناس إمكانية الالتزام بها في حياتهم. وكلف بهذه المهمة رسوله قائلًا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٦] وهو قام بهذه المهمة أحسن قيام حتى قال عنه تبارك وتعالى:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد الشيباني بتحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ٣٢/ ١٢٣ رقم الحديث: ١٩٣٨١ ؛ ابن أبي حاتم، ٣١/١.

(٢) المائدة: ٦٠

(٣) المائدة: ٧٧

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٢٢٤/١.

(٥) الإسراء: ٩.

(٦) النحل: ٤٤.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] وبين أقرب الناس اليه زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مصدر عظمة خلقه بقولها: "كان خلقه القرآن"[2]. لذلك جعله الله قدوة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر قائلًا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾،[3] وأمرهم بطاعته واتباعه حتى اعتبر طاعته طاعة لربه مبينا ذلك بقوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾.[4]

ومن أبرز خصائص هذا الأخلاق العظيم هو البدء جميعَ مجالاتِ الحياة النافعة باسم خالق الحياة، والانطلاق في الطريق بشكره. فإن البداية بهذا تعتبر دليلاً على تذكر مانح الحياة باستمرار، وهو تعبير عن الشكر للخالق. ومن اللافت للنظر أن يكون بدء القرآن الكريم، مصدرِ الهداية ومنبعِ جميعِ الخيرات، باسم الله سبحانه وتعالى، سواءً من حيث ترتيبُ نزولها، كأول آية نزلت وهي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[5]، أو من حيث ترتيب سورها كأوّل آية في سورة الفاتحة.

وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبين القرآن، من "كل كلام أو أمر ذي بالٍ لا يفتح بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فهو أبتر أو قال أقطع."[6]، يشير إلى أنه صلى الله عليه وسلم بدأ أعماله الحسنة كلها باسم الله سبحانه وتعالى،

---

(1) القلم: ٤.
(2) مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرنؤوط ، ١٤٨/٤١، رقم الحديث: ٢٤٦٠١.
(3) الأحزاب: ٢١
(4) النساء: ٨٠.
(5) العلق: ١
(6) مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني بتحقيق أحمد شاكر، ٨، ٣٩٦ رقم الحديث: ٨٦٩٧، قال أحمد الشاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، رواه السيوطي بألفاظ متعددة: منها "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه "بالحمد لله" أقطع وهذه الرواية أخرجها ابن ماجة، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة، ورمز لها السيوطي في الجامع الصغير بالحسن. ومنها: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه "ببسم الله الرحمن الرحيم" أقطع" رواه عبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالضعف.

وهذا يدل على توافق القرآن والسنة في كيفية البدء بالأعمال الحسنة وبالتالي فإنه يقدم القدوة الحسنة لإرشاد المسلم إلى التمسك بابتداء أعماله الصالحة كلِها في جميع حياته الشخصية باسم الله أو الحمد له. وهذا يجعله مرتبطا بالله وثيقَ الصلة به مترقبَ عونه ليل نهار وبالتالي يجعله نافعا لنفسه ولأسرته وللمجتمع الذي يعيش فيه.

ومن اللافِتِ للنظر أيضًا أن القران من حيث البدءُ جمع بين الحسنيين في آن واحد. بدأ باسم الله ابتداء أوليا بقوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

إذا اعتبرناها آية في أول سورة الفاتحة على رأي من قال بذلك، وبالحمد لله ابتداء ثانويًا في الآية الثانية ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. ووجوب قراءة هذه السورة على كل مسلم ومسلمة، في كل يوم كجزء من صلاته المفروضة عليه، يجعله دائم التذكر في الابتداء الحسن في كل أعماله الطيبة، ودوامه على ذلك طول حياته يجعل هذا الأمرَ خُلقًا أصيلًا ممزوجًا بكيانه.

٣. ٢. ابتداؤها بالرحمة:

القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية، وبالتالي يتم الحصول على المعلومات الصحيحة عن الإسلام منه. وهذا أمر معروف ومسلم به عند جميع المسلمين والمنصفين من الباحثين، ومن الجدير بالذكر أن الآية الأولى في سورة الفاتحة — على رأي من يعتبر البسملة جزءًا من الفاتحة – تحتوي على اسمين من أسماء الله الحسنى وهما الرحمن والرحيم. وتم ذكرهما في الآية صفة لله تعالى[١]، وقد أُشتُقت كلتاهما من كلمة "الرحمة"، والفرق بينهما أن الأولى أقوى أو أوسع في الدلالة على الرحمة من الثانية[٢].

ومن المعروف أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وكل من هذه الأسماء والصفات تدل على معنى يليق به. فمن بين هذه الأسماء ما

---

[١] درويش، إعراب القرآن وبيانه، ١٤/١.

[٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١٩٦/١

تحمل معنى الرحمة مثل الرحمن والرحيم والغفار والغفور والرؤوف والودود والسلام، وأسماء تحمل معاني القوة والعظمة مثل العزيز والجبار والمتكبر والقهار والقوي والمتين.

ولا شك أن الله تعالى هو الفاعل المختار يفعل ما يشاء ويختار ما يريد. ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾.[1] لذلك لو شاء لاختار من اسمائه ما تدل على القوة والعظمة والغلبة لتكون ابتداء لكتابه بدلاً من الأسماء التي تدل على الرحمة والشفقة.

وبالتالي لكان بالإمكان أن يبدأ كتابه مثلا "باسم الله القهار الجبار". وكان بالإمكان أيضا أن يوجه رسوله بما يلائم هذا الابتداء في أعماله. وفي هذه الحالة لا شك أن المأمورين باتباعه ليستنون بسنته صلى الله عليه وسلم.

لكن الله سبحانه وتعالى، الذي غلبت رحمته غضبه، أراد أن يبدأ كتابه بأسمائه التي تحتوي على معاني الرحمة، ووصف كتابه بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وبين أنه أرسل رسوله أيضا رحمة للعالمين، وأمر المؤمنين أن يتبعوه، ويطيعوه، ويقتدوا به.

فقد بين رحمتَه الواسعة بقوله: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، وحتى أكد أن رحمة نبيه ولينه ولطفه في تعامله مع الناس نابع عن رحمته تعالى. أنه بهذا جمع الناس حولَه، وأنه لو كان قاسي القلب لتفرق الناس من حوله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾.[4]

بناءً على هذا، يُفهَم من بداية القرآن الكريم بالرحمة أنه يدعو المسلمين

---

(١) الأنبياء: ٢١.
(٢) يونس: ٥٧.
(٣) الأعراف: ١٥٦.
(٤) آل عمران: ١٥٩.

الذين يؤمنون به إلى التخلق بالرحمة والشفقة، وإلى إنشاء مجتمع يضع هذه القيم الأخلاقية العظيمة في مركز اهتماماته.

ومع هذا، لا يُتوقع من الأشخاص الذين يدّعون أنهم مسلمون ويعيشون بعيدًا عن هذه القيم الأخلاقية العظيمة أن يكونوا مثالًا في هذا الصدد، وحتى لا يعتد بهم في هذا المجال لذلك لا يمكن تقييم الإسلام من خلال تصرفاتهم؛ لأن الإسلام يؤخذ من مصادره الأصلية، وهذه المصادر هي التي تحدد المعايير الإسلامية للفرد المسلم والمجتمع المسلم. وكما يظهر جليا، فإن المبادئ التي تحتوي عليها الآيات الأولى في الصفحة الأولى من القرآن واضحة، وكذلك سيرة النبي التي عُرضت كقدوة للمسلمين بين أيدينا محفوظة، وهي توضح لنا كيفية تطبيق هذه المبادئ في واقع حياتنا.

٣. ٣. كون الإسلام دين السلام، والمجتمعِ الذي يرغب في إنشائه مجتمع السلام:

الآيات التي في أوائل سورة الفاتحة تدل على أن الإسلام دين السلام والأمان، والمجتمع الذي يرغب في إنشائه هو مجتمع السلام والأمان. أول آية منها تبدأ باسم الله، ثم توصف هذا الاسم بصفات مشتقة من الرحمة، وفي الآية الثانية يوصف الله برب العالمين، وفي الآية الثالثة تُكرَّر صفات الرحمة من جديد وفي الآية الرابعة يوصف الله بأنه مالك يوم الدين. هذه الآيات تدل على العديد من المعاني العميقة، بالإضافة إلى أن الإسلام دين السلام، والمجتمعَ الذي يرغب في تأسيسه هو مجتمع السلام. ويُمكن بيان ذلك على النحو التالي :

ابتداء الآية الأولى باسم الله الرحمن الرحيم يعبر عن غنى جانب الرحمة وثقله عند الله. حتى مجرد ذكر اسم الله يشعر الشخصَ الذي يعرفه بصفاته الثقة والطمأنينة. والله سبحانه وتعالى يؤكِّد هذا المعنى بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[1]. وابتداء عمل باسمه يدل على

[1] الرعد: ٢٨.

خيريته؛ لأن اعمال الخير فقط يُبْدَأ باسمه، وتوصيف هذا الاسم بعد ذلك بصفات مشتقة من الرحمة يحمل المؤمن به من حيث الشعور إلى ذروة السلام والثقة والطمأنينة.

تبدأ الآية الثانية بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، حيث أن الحمد يعني ببساطة الثناء. والألف واللام الداخلة عليه تدل على الاستغراق،[1] وهذا يضيف إليه معنى "جميع أنواع الثناء". وبالتالي فإن عبارة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعني أن جميع أنواع الحمد تخص بالله سبحانه وتعالى. المؤمن المتوجه الى الله بتخصيص الحمد والثناء له، والمجتمع المكون من أمثاله لا ينحني ولا يركع ولا يسجد إلا لله، لا عبودية في هذا المجتمع إلا لله، تتفاوت درجات الناس فيه بحسب تقربهم إلى الله. الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويدعوهم إلى دار السلام. لا شك أن المجتمع الذي يؤمن بهذه القيم مجتمع سلام وأمان.

بعد هذا التعبير تأتي عبارة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، صفة لاسم الله[2].

الجزء الأول من هذه البنية التي تتألف من مضاف ومضاف إليه، هو كلمة "رب"، والتي تعني في العربية السيد المطاع، والمصلح، والمالك. وعند استخدامها لله، تأتي بمعنى العظمة والسيادة التي لا توجد لها مثيل، والسلطة والسيطرة التي لا توجد لها نظير، والنعم اللاانهائية التي يمنحها لجميع مخلوقاته وتنظيم أعمالهم، وتفرده بالخلق والأمر.[3] تُستخدم كلمة "رب" بدون إضافة لله وحده.[4] الجزء الثاني منها وهو كلمة ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ،

جمع كلمة "عالم"، وهو كل ما سوى الله تعالى. وجواب موسى لفرعون عندما سأله ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، حيث قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبد الله الشيرازي البيضاوي ، ٢٧/١؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله النسفي، ٢٩/١؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٢٠٧/١

(٢) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ١٤/١.

(٣) جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري ، ١٤٢/١-١٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٢٠٧/١.

(٥) الشعراء: ٢٣.

بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[1]، يدل على هذا المعنى.[2] هذه الكلمة مشتقة من كلمة "علامة"؛ لأن العالم هو علامة وجود خالقه، ووحدانيته.[3] قبل هذه الآية والتي قبلها تقدر كلمة "قولوا"،[4] وهذا يعني أنه توجيه من الله لنا للتعبير عن هذا.

هناك عدة حِكَم في استخدام عبارة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ بدلاً من "الحمد لله ربي"، من بينها: تعزيز الدلالة على عظمة الله وسيادته، وتعزيز الأدب والاحترام والولاء القلبي الذي ينبغي للإنسان أن يظهره لربه.

– يمكن بيان دلالته على عظمة الله بأنه السيد والمدبر والمالك والمنظم لجميع الكائنات في مجرى وجوده، وأنه يراقبها باستمرارٍ بالتدبير والإحسان، وهو ما يمكن تلخيصه بشكل موجز في عبارة "رب العالمين."

– يمكن بيان دلالته على احترام ومحبة الإنسان لربه بشكل موجز: كأن الإنسان من خلال استخدام عبارة "رب العالمين"، يقول: "يا ربي، أنت رب الكون بأسره، فكل الكائنات تعظمك، فمن أنا لأعلن عن ذاتي كوجود مستقل؟ الواجب عليّ أن أحمدك بتواضع كامل مع هذا الكون الفسيح كجزء صغير منه ملائم معه ". من خلال هذا التعبير، تبين سورة الفاتحة للإنسان كيف يعبّر عن احترامه ومحبته وتعلقه القلبي بربّه.

لفظا ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ و﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الواردان في الآية الثالثة من حيث الإعراب صفتان ﴿ لِلَّهِ ﴾[5] الوارد في الآية الثانية. هذان الاسمان وردا في السورة آية مستقلة وهذا لا يكون مانعًا من أن تكون دوامًا وتتميمًا من حيث المعنى لما قبلها. تحدثنا عن معنى هذين الاسمين بإيجاز أثناء الكلام عن معنى الآية

---

(١) الشعراء: ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١/٢١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١/٢٠٧. ٢٠٨.

(٤) جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري ، ١/١٣٩-١٤٠.

(٥) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ١/١٤.

الأولى.وسأشير هنا إلى معنىً لهذه الكلمات في ترابطها بالآية السابقة وأقول: عندما يتم وصف "الله" بعد "رب العالمين" في الآية التالية بـ "الرحمن والرحيم"، يشير إلى أنه سبحانه وتعالى ينظر إلى الكون (العالمين) بعين الرحمة، وأنه بفضل رحمته تقوم السموات والأرض وما بينها. إذًا على الإنسان المخاطب بالوحي مع كونه كذرة صغيرة في هذا العالم الواسع أن يستفيد من هذا الخطاب الإلهي وينظر إلى الكون ومن فيه بعين الرحمة في علاقاته مع الناس والبيئة التي يعيش فيه، ويجب عليه أن يجعل السلام والسكينة والرحمة سائدة في الجزء المحدد له في هذا الكون، مستمداً ذلك من علاقة الله بالعالم. قد يبدو المعنى الذي خطر ببالي عند التأمل في هذه الآية معنى بعيدا، ولكن بعد تأمل بسيط في معناها مع الآية التي بعدها سيظهر أنه معنى منطقي مقبول إن شاء الله. "

الآية الرابعة تبين أن الله هو ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: يوم الحساب والعقاب. تم ذكر كلمة "مالك" كصفة لاسم الله في الآية الثانية.[1] على الرغم من أن هذه الآية مستقلة، إلا أنه من حيث المعنى دوام للآية السابقة. تبين أن الله هو مالك يوم الحساب، وبالتأكيد أن الله ليس مالك يوم الحساب فقط، بل هو مالك الأيام كلها. إلا أن يوم الحساب يوم مختلف تماما حيث لا يملك فيه أحد شيئًا أبدا، لا حقيقة ولا مجازا، لا مالك في هذا اليوم إلا الله، يمكن للإنسان أن يكون مالكا لشيء ولو بشكل مجازي. ولكن عندما يموت، يصبح بلا شيء، لأنه يترك كل ما كان يملك في الدنيا خلفه. وقد أشار ابن كثير في تفسيره إلى هذا المعنى كما تتقدم ومن هنا يمكن أن يكون هذا حِكمةً من حِكم استعمال مصطلح ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ في هذه الآية".

وبناءً على ذلك، نرى أن الله قد وَصف ذاته العلية في الآية الثانية بصفة ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ بعد البسملة، وفي الآية الثالثة بصفتي: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وفي الآية الرابعة بصفة "مالك يوم الدين".

---

[1] إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش ، ١/١٤.

فالعالم المذكور **في الآية الثانية** يشمل كل ما سوى الله، بما في ذلك الدنيا والآخرة. ومن خلال هذه الآية، يفهم الإنسان أن الله هو رب العالمين وهو الذي يدير العالم ويراقبه، وهذا الشعور ينمي في الإنسان المحبة والاحترام لربه كما ينمى فيه التقوى منه والابتعاد عن عصيانه.

الآية الثالثة، التي ذكر فيها صفات الرحمة، ترشد الإنسان إلى معرفة هذه الصفات الربانية وأخذ حظه منها واستخدامها في علاقته مع الآخرين.

أما الآية الرابعة، فترشد الإنسان إلى أنه سيلقى الله يوم الحساب، وسيحاسبه الله على أعماله. وكأن ذكر هذه الصفة بعد صفتي الرحمة يشعر الإنسان ويطلب منه أن يتمسك في تعامله مع الناس متطلبات صفات الرحمة وإلا سيخسر يوم الحساب.

وبداية المصدر الأول للإسلام (وهو القرآن) بآيات تكررت فيها صفات مشتقة من الرحمة، وكون النبي المبَيِّنِ للقرآن مبعوثا رحمة للعالمين يعني أن هذا الدين يضع الرحمة في مركزه، ويهدف إلى تأسيس مجتمع يتمسك بالرحمة. وانطلاقاً من هذه الحقيقة يبدو أن الذين يصفون هذا الدين بالإرهاب من أعداء الإسلام ليس لهم من معرفته نصيب، أولا يرغبون في الاعتراف بهذه الحقيقة.

وبعد تكرر صفات الرحمة في هذه السورة أربع مرات، أن يأتي التأكيد على أن الله هو صاحب يوم الدين يشير إلى عظمته من ناحية ومن ناحية أخرى يشير إلى يوم الحساب الذي ينتظر المفسدين في الأرض بغير حق.

٣. ٤. ضرورة العبودية لله والاستعانة منه:

المسلم يخلص العبادة لله وحده ويستعين منه وحده، والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي تسوده هذه الخصائص. ومن القيم التي علمها الله في هذه السورة هي العبادة لله والتوكل عليه والاعتماد عليه، كما جاء في الآية الخامسة من السورة. المسلم يعبد الله وحده بعيدًا عن جميع أنواع الشرك، لأنه يعرفه كما جاء في الآيات السابقة، حيث يعرف أنه يحيط الكون برحمته وهو رب العالمين

وصاحب يوم الدين. ويؤمن إيمانا عميقا بأن النفع والضر من الله وحده، ويعرف بأن الآلهة الأخرى عاجزة تمامًا، حتى ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى علّم المسلم أن يعبر عن هذه الحقيقة بأسلوب في منتهى الأدب والتواضع، مدركا عجزه تمام الإدراك، لذلك علّمه أن يفضل تعبير ﴿ نَعْبُدُ ﴾ بدلاً من "أعبد" وتعبير ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ بدلاً من "أستعين" للإشارة إلى أنه غير قادر على أداء العبادة بمفرده. ولا يمكنه القيام بذلك إلا بالتعاون مع غيره. وهذا الأسلوب يشير إلى أن تحقيق العبادة بشكل كامل يتطلب التعاون الاجتماعي.

٣. ٥. طلب الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه من الله:

المؤمن بإيمانه فقد اهتدى، ولكن هذا لا يعني أنه سيثبت على الهداية، لأنه يعرف أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبه كيف يشاء.[2] المؤمن الحق يشعر دائماً بحاجته إلى عون الله، ويخشى أن يفقد الاستقامة بعد الحصول عليه، لذلك يلتجئ إليه في السراء والضراء، متوجها إليه من أعماق قلبه، داعيا الله أن يثبته على الهداية طول حياته بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾. يقول ابن كثير في هذا الصدد "فإن قيل فكيف يَسْأَلُ المؤْمِنُ الْهِدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟ فَالْجَوَابُ أَنْ لَا، وَلَوْلَا احْتِيَاجُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَثْبِيتِهِ عَلَى الْهِدَايَةِ وَرُسُوخِهِ فِيهَا وَتَبَصُّرِهِ وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا وَاسْتِمْرَارِهِ

---

[1] الحج: ٧٣.

[2] كما ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَليه وسَلم يقُولُ: إِنَّ قلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ, كَقَلْبٍ وَاحِدٍ, يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ, ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليه وسَلم: اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ. صحيح مسلم لمسلم بن حجاج النسابوري، القدر، ٦٨٤٤

عَلَيْهَا فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالمعُونَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ من وفقه الله تعالى لسؤاله فإنه قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ وَلَا سِيَّمَا المضْطَرُّ المحْتَاجُ المفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَقَدْ قَالَ تعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ﴾[1] فقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ وَلَيْسَ ذلك من باب تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ لِأَنَّ المرَادَ الثبَاتُ وَالِاسْتِمْرَارُ وَالمدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ المعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[2]

٣. ٦. ضرورة معرفة صراط المستقيم:

الآية الأخيرة من السورة تبين المقصود من الصراط المستقيم الذي ذكر في الآية التي قبلها، تبين أن الصراط المستقيم هو صراطُ المنعم عليهم من عباد الله سبحانه وتعالى، وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.[3]

وَالمعْنَى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ مِمَّنْ تقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنعْتهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الْهِدَايَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ نوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ.[4]

فالمؤمن إذًا عندما يقرأ هذه الآية ويدعو الله بها يعرف أنه يدعو الله أن يثبته على صراط النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ. ويطلب من الله ما يحبه. ومما يحبه أن يكون على صراط خيرة الناس، ويكرر طلبه هذا مرارا في أوقات

---

(١) النِّسَاءِ: ١٣٦

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٢٢٢.

(٣) النِّسَاءِ: ٦٩- ٧٠

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٢٢-٢٢٣.

متقاربة من كل يوم طول حياته وهو في صلاته بين يدي ربه. هذه الآية بهذا القسم منها تدعو المؤمن إلى الالتزام والمداومة على أمور: منها أن يكون على علم ومعرفة من صراط خيرة الناس من النبيين وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ حتى يستطيع أن يسلك مسلكهم، وينهج نهجهم. ومنها أن يستشعر دائماً أن هؤلاء قدوته لئلا يقتدي بمن لا يستحق الاقتداء، ومنها أن يصاحب الذين يعيشون منهم لأن «المرء مع من أحب»(١)، وأنه «على دين خليله»(٢)، كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق صلى الله عله وسلم.

هذه الآية كما تذكر صراط المنعم عليهم للاقتداء بهم، تذكر صراط المغضوب عليهم والضالين للاجتناب عنهم. والرسول صلى الله عليه وسلم بين أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى كما مر، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه ولكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾(٣) وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم: ﴿ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٤) وَبِهَذَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ والآثار(٥)

هذه الآية تدل دلالة واضحة على أنه يجب على كل مسلم أن يكون في منتهى التنبه واليقظة من عداوة المغضوب عليهم (اليهود) والضالين (النصارى)؛ لأنها ليست من الآيات التي يستحسن قراءتها فقط، بل يجب حفظها وقراءتها يوميا ما لا يقل عن سبعة عشر مرة، يقرأها في أفضل أوقاته،

(١) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ٦١٦٨، وصحيح مسلم لمسلم بن حجاج النسابوري، ٢٦٤٠.

(٢) سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، ٤٨٣٣، سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، ٢٣٧٨.

(٣) المائدة: ٦٠.

(٤) المائدة: ٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/٢٢٤.

في حالة مناجاته لربه سبحانه وتعالى، لأن عداوة هولاء للمسلمين ليست عداوة عن جهل بل عداوة عن حسد وكتمان حق يعرفونه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾[1] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾[2] لذلك تجد في قلوبهم قسوة لا يستطيع البشر أن يصورها كما صورها الخالق المصور بقوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[3] وبعد ذلك يسهل على المؤمن أن يفهم كيف استطاعوا أن يكذبوا وحتى أن يقتلوا الأنبياء ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾[4] وليس من الغريب أن يقوم الأحفاد بما قام به الأجداد. ولكن الغريب أن يغفل المسلم عن عداوة هؤلاء، وينسى هداية القران، وهو يقرأ فاتحة الكتاب آناء الليل وأطراف النهار.

إذا كان المؤمن مطالب بالاجتناب عن طريق هذين الصنفين من الكفار مع أنهم من أهل الكتاب فبطريق أولى مطالب بالاجتناب عن طريق من هو أشد منهم كفرا من الملاحدة والمشركين وأمثالهم.

---

[1] البقرة: ١٤٦.
[2] البقرة: ٨٩.
[3] البقرة: ٧٤.
[4] البقرة: ٨٧.

الخاتمة

القرآن الكريم كتاب لا ينفد نفائسه ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[1]

كل ما كتب في بيانه شاهد على صدق ذلك.

ولا يملك الإنسان أمام هذه الحقيقة إلا أن يقول صدق الله العظيم.

لا شك أن هدايات القرآن الكريم من أهم مباحث القرآن ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾[2] وإنها لبحر لا ساحل له، كل يأخذ منه ما يروي به ظمئه ويطمئن به قلبه.

حاولنا في هذا البحث أن نفهم هدايات القرآن في تكوين شخصية المسلم من خلال سورة قصيرة من سوره، سورة الفاتحة. سورة قصيرة من حيث عدد آياته ولكنه عميقة فيما اشتمل عليه من المعاني حتى سميت بأم الكتاب.

وجدناها تشمل على هدايات لا غنى عنها لأي مسلم وربما هذا من حِكَم وجوبية قراءته على كل مسلم ومسلمة كجزء من صلاته.

في بدء السورة باسم الله والحمد له هدايات، في تخصيص الحمد لله هدايات، في ذكر رب العالمين هدايات، في ذكر وتكرر اسمي الرحمن والرحيم هدايات، في ذكر المالك وإضافته إلى يوم الدين هدايات، في أسلوب بيان العبادة له والاستعانة منه هدايات، في الالتجاء إليه لتثبيته على الحق هدايات، وفي بيان طريق الحق لِاتِّباعه وطريق الباطل لِاجْتنابه هدايات.

وجدنا أن كل هداية من هدايات سورة الفاتحة تستحق بحثا، ونعرض هذا الأمر على الباحثين. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) الكهف: ١٠٩.

(2) الإسراء: ٩

المصادر والمراجع

١. إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، (المتوفى: ١٤٠٣ هـ)

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨ هـ

٣. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ

٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد والآخرون، مؤسسة قرطبة – مكتبة أولاد الشيخ للتراث، جيزة،

٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٦. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق وتخريج يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩/١٩٩٨ م

٧. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية

٨. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩ هـ) ،تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد اللطيف حرز الله، الرسالة العالمية – بيروت، ١٤٣٠ / ٢٠٠٩.

٩. الجامع المسند الصحيح المختصر صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،١٤٢٢هـ

١٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦/١٤٢٧.

١١. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية

١٢. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ١٤١٧/١٩٩٧.

١٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة ، ١٤١٦/ ١٩٩٥.

١٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)

١٥. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١/٢٠٠١ م

١٦. المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٧. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.